دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أثر الهجرة في حاضر المسلمين و مستقبلهم
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	الدريني، محمد فتحي
المجلد/العدد:	مج 48, ع 1
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2004
الصفحات:	6 - 14
رقم MD:	418990
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الهجرة النبوية، العالم الإسلامي، إدارة الدولة، محمد عليه الصلاة و السلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/418990

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أثر الهجرة في حاضر المسلمين ومستقبلهم

بقلم الاستاذ الدكتور محمد فتحي الدريني

إن كل فكرة تعرض للعقل، فتجري في مسالك تفكيره، أو أية قيمة من القيم يضعها في ميزان منطقه، فإذا لم يأبه الإنسان بها، أو لم يولها ما هي جديرة به من التعقل، وعمق الإدراك، ليسبر مدى حقيتها، ومبلغ جدواها، ويستشرف آفاق مراميها، ابتغاء ان يكون على بينة من أمرها، فإنه دون ريب يفقد القدرة على تمثلها روحاً يسري في كيانه كما يتمثل الجسم خلاصة الغذاء الذي يتناوله، فلا يمكن بالتالي ان تستحيل عقيدة مهيمنة موجهة راسخة في أعماق النفس الانسانية.

ذلك أن شأن الاعتقاد الحق هو انطواء القلب على معنى، أو «فكرة» قد تشبع بحقيتها برهانة، وسلم العقل بمنطقيتها، قناعة، حتى لا يجد الانسان من البدائل المعروضة على تعقله من شتات الفكر، ما يفضلها، أو يضاهيها، طبيعة وهدفاً، ومن هنا يشيع الاطمئنان القلبي، والاستيقان الوجداني النابع من الاقتناع العقلي - كما ذكرنا - بمضمون هذا المعتقد، وما يتفرع عنه من قيم اخلاقية، وشرائع عادلة، ومقاصد عليا إنسانية تسمو بها الحياة وتشرف، ولا سيما إذا تحققت آثار هذا المعتقد الحق في مواقع الوجود، إذ لا أدل على صدق المبدأ وحقيته من جني ثمراته بعد تنفيذه!!

كان طبيعياً، إذن ان يعيش الانسان بعقيدته، ولعقيدته، وتتمحص «مواقفه» وفاعليته على مسرح وجوده، صدى أميناً لها، أو أثراً لازماً لمقتضياتها، لما قدمنا من أن النفس الإنسانية، بفطرتها سرعان ما تتفاعل بمعتقدها تجاه الأحداث، والوقائع المتجددة ولا سيما فيما يتعلق بالقضايا الكبرى التي يتعلق بها المصير!! فيتخذ من ذلك المعتقد «ميزانه» في الحكم عليها،

ويصغ الى إيحاءاتها بل وإملاءتها التي تشكل «المعايير» التي تحدد «مواقفه» الحاسمة إزاءها، إذ قد أصبحت تلك المواقف الحاسمة المتخذة هي مادة الابتلاء في صدق المعتقد!

ومن هنا أمكن تفسير استجابة المهاجرين السابقين الأولين في الايمان، لنداء «الهجرة» من مهد الدعوة الى قاعدة الدولة، جهاداً في سبيل حماية العقيدة الجديدة، عقيدة التوحيد التي حررت الانسان من عبودية غير الله، شركا به وليس ثمة أقبح من النظام الاجتماعي الذي يتضمنه الشرك، وحسب المشرك أن يعرض على ذهنه صورته التي رسمها له القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء، فتخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (١).

لبى المهاجرون السابقون في الإيمان، نداء الهجرة، امتثالاً لأمر ربهم، وجهاداً في سبيل العقيدة، وإقامة للدين، وإعلاء لكلمة الله في الارض في أول خطوة من خطوات بناء الدولة، إنشاء لقاعدتها في البيئة الصالحة «المدينة المنورة» يوم استعصت «مكة» الطاغية المتجبرة المتمردة على ذلك!

تجد هذا صريحا في مثل قوله عز شأنه: ﴿والذين آمنوا، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين آووا ونصروا، أولئك هم المؤمنون حقاً، لهم مغفرة ورزق كريم﴾(٢) وقوله سبحانه: ﴿.. فالذين هاجروا، وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقتلوا، لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ (٣).

لا يمكن تفسير استجابة المهاجرين لنداء الهجرة، بأمر من الله تعالى، وإذن من الرسول أيضاً، كما لا يمكن تفسير خروجهم من ديارهم وأموالهم، إلا على أساس هيمنة العقيدة وحدها بما أورثتهم من الثقة البالغة بمستقبل قريب أو بعيد قوامه العزة الإلهية التي استخلفهم الله فيها، كما استخلفهم الله تعالى في أرضه، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ولله العزة، ولرسوله وللمؤمنين﴾ (٤) والحياة الإنسانية التي تسمو بهم، ويسمون بها، في الدنيا فضلا عن النعيم المقيم في الآخرة، وقد قطفوا فعلا بواكير ثمارها، من الوحدة الحقيقية التي ألفت بينهم وبين الأنصار، القائمة على المودة والإخاء الحق الذي هو معجزة من معجزات الإسلام، وعلى الإيثار على نحو لم تعرفه المجتمعات البشرية من قبل، وما أظنها تعرفه من بعد في المستقبل الآتي الى يوم القيامة! هذه الوحدة القائمة على عقيدة التوحيد قد صاغها الإسلام صياغة يستحيل على العقل البشري ان

يتصور امكانية انسجام عناصرها، فضلاً عن أن يكون تحقيقاً لحلم الفلاسفة في «المدينة الفاضلة» إذ كانت الإحن، والأحقاد، والعصبية القبلية، تمزقهم إرباً إرباً، وتفقدهم بالتالي وعيهم لذواتهم، ما لبثوا بعد ان استضاءت أفئدتهم بنور الله، ان وجدوا أنفسهم خير أمة أخرجت للناس فعلاً، ولما تبينوا فضل الاسلام عليهم ازدادوا ايماناً به، بل وتأججت روح التفدية في سبيله، فلا غرو أن يحملهم ذلك على الجهاد المستميت، في سبيل إقامة هذا الدين، وبناء الدولة التي تحميه!!

أقيمت قاعدة الدولة:

وأخذت تتحدى العالم من حولها بمبادئها، على الرغم من قسوة الظروف التي كانت تلابسها، وتركزت معاقد الدولة في المدينة المنورة، مما يقيم الدليل البين على ان الهجرة، لم تكن كما يزعم المستشرقون فراراً من الموت، وخوراً في العزم، وجزعاً من الكوارث، على ما سيأتي تفصيل القول فيه.

هذا، وليس عجباً ان ترى الصراع الدموي محتدماً تدور رحاه بين أرباب الحق وأصحاب العقيدة الصحيحة، والقيم الرفيعة، المثل العليا الإنسانية الخالدة، وبين من تستبد بهم آثار التقاليد الجاهلية الموروثة، وتستأثر بهم محنة المحاكاة، وبلاء الاستهواء، وشره الهوى، وأوهام الأباطيل، وحمق العصبية الرعناء، بما في ذلك من تخل عن الذات، وتعطيل للقوى المدركة فيهم بل وفقدان الوعي لكيانهم الإنساني والحضاري أقول: ليس عجباً أن نرى هذا الصراع الدموي، تدور رحاه بين هؤلاء وأولئك، لأنه أمر تفرضه طبائع الأشياء، وسنة الوجود وتفسير ذلك:

أن المهاجرين الأولين، كانوا على يقين من أمرهم، وعلى بينة من الهدى الذي شرح الله صدورهم به، وعلى بصر من الحق الذي آمنوا به إيماناً مهيمناً يعمر القلب، ويحرر الفكر من التصور المظلم للحياة والإحياء، فغدوا على رؤية واضحة نيرة من المستقبل الذي يجاهدون في سبيل بنائه، وتحقيق معالمه التي سيكون شأنهم عليها، بما رسمها لهم هذا الدين الجديد، بمنطق يقيني عقائدي جديد وآمنوا ان منطق اليقين العقائدي، محال ان ينقض مهما حاولت القوى الغاشمة مغالبته، بخلاف المشركين - صناديد قريش وكبرائهم - إذ لا يقوم بأوهامهم، وباطلهم قوة من برهان او منطق من يقين أو أثارة من علم، فلم يكونوا على بينة من أمرهم وإنما كانوا على بينة من باطلهم إذ أقروا أن ما هم عليه، إنما هو الذي كان عليه آباؤهم الأولون ولو كانوا لا يعقلون شيئاً، ولا يهتدون محض تقليد، عطلوا فيه ملكاتهم، ومحاكاة عمياء لا تعرف البرهان،

ولذا، كان نكرانهم وجحودهم مجرد مكابرة، بدليل ان بعضهم قد استيقنت نفوسهم حقائق هذا الدين، وكم في شعوب هذا العالم، من مكابرين، يعلمون الحق ولكنهم له منكرون! وهذا ما قد أشار إليه القرآن الكريم، بقوله سبحانه: ﴿وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (٥).

وعلى هذا يمكن القول بأنه لم يكن في مستطاع كفرة قريش، الإدلاء ببرهان يورث قناعة تسوغ «مواقفهم» المعادية لهذا الدين الجديد سوى التشبث بدعوى المحاكاة المزرية لأنها دعوى متهافتة، ازدادوا بها ضلالة وسفاهة، وضعة، إذ ليس من اليسير – وهم على هذه الحال – أن تتوافر لهم «عناصر شخصية إنسانية» ما داموا قد تخلوا عن منطق العقل الذي ميزهم الله به عن سائر المخلوقات، بل أقاموا هم الدليل البين – بمكابرتهم – على أن هذا الدين الجديد، وأفادهم بمبادئه ومثله العليا وقيمه الانسانية الخالدة على الدهر، أقول: أقاموا هم الدليل البين على أن هذا الدين الجديد لم يكن ليستأهل منهم هذه الحروب التي شنوها عليه، وألوان التعذيب الوحشي، وصنوف الاضطهاد التي لاقاها منهم محمد ﷺ وأتباعه من المؤمنين!

وبدهي أنه حيث تفشل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا محالة حينئذ من اللجوء الى القوة، درءاً للشر، ومقاومة للباطل، وحماية للحق، ودفاعاً عن النفس وإباء للإستسلام للبغي والظلم، والاستكبار وأنفة من المذلة والهوان، ورفضاً للمساومة والمراوضة المهينة، توصلاً الى ما يسمى بأنصاف الحلول، وهذا – دون ريب – أثر من آثار «القوة الروحية» التي هي وليدة تعاليم الإسلام وما بثته في نفوسهم «عقيدة التوحيد» الخالص، التي قضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاما في مكة، ينشئهم عليها، ويصوغ نفوسهم من معدنها!

هذا – وواقع الأمر – أن هذه السنين التي استغرقتها الدعوة في مكة وإن لم تحرز نصراً حربياً غلاباً، إذ لم يكن الإذن بالقتال قد تنزل به الوحي بعد، غير أنها أحرزت قوة روحية لا حدود لطاقاتها، كانت هي الأساس المكين لبناء قاعدة الدولة في المدينة!!.

على أنك لو أمعنت النظر في أحداث «الهجرة» ومراحلها، لألفيت أن «الدافع العقدي» وحده هو الذي حمل على معاناة أهوال هذه الهجرة، وأيضا إن الرسول الأعظم ﷺ قد ضرب لهم المثل الأعلى في الثبات على المبدأ، وفي أشد الظروف حرجاً وقسوة، بل ويوم لم يكن له حول ولا قوة – مادية أو بشرية – إلا هذه «الثلة» من المؤمنين به، وقد اشتدت وطأة قريش بجبروتها عليهم، وأخذت تهدد عمه أبا طالب إن لم يكف ابن أخيه عن المضي في

دعوته وتبليغ رسالته، حيث قالوا له: يا أبا طالب إن لك نسباً وشرفاً ومنزلة فينا، وقد رجوناك أن تكف ابن أخيك فلم تفعل! وإنا والله لا نصبر على ذنب حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين!.

وهذا القول واضح في أنهم يبيتون حرب إبادة! هذا، ولقد بدا من عمه أول الأمر، ما يشبه «التخوف» لما وجه إليه المشركون من تهديد حتى قال لابن أخيه، متصدعاً حذراً: «ابق على نفسك وعليّ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق» فما كان من الرسول الاعظم ﷺ إلا ان جاشت نفسه إباء، وأنفة، وإصراراً فقال قولته المشهورة الخالدة: (والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه).

وهنا، أدرك ابو طالب عظمة الشخصية المحمدية التي تغري العظماء والقادة والساسة في كل عصر، بالتأسي والاقتداء!! فقال أبو طالب لتوه: (إذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً).

ذلك مثل رائع حقا ضربه الرسول ﷺ بموقفه الحاسم تجاه رسالته العظمى التي اؤتمن عليها، وأرسل رسولاً من أجلها، فضلاً عن تنزل الوحي الإلهي، الذي أوحي إليه، من مثل قوله عز وجل: ﴿يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾(٦) وقوله سبحانه: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك، إنك على صراط مستقيم﴾ (٧).

وهل يستقيم في منطق العقل، أن يقال بعد هذا: إن هجرته ﷺ كانت فراراً من الموت!!.

الباطل زاهق أبداً أمام وضاءة الحق، وإن طال المدى:

سبق القول: إن مشركي مكة، قد كانوا عرضة لتيار «الاستهواء النفسي» دون أن يتبينوا دليلاً أو حجة، لما هم مستغرقون فيه!! وقد غلب هذا «الاستهواء» على أمر هؤلاء حتى أضحى من العسير، بل من «المتعذر» على أمثالهم، أن تعرف دلائل الإقناع سبيلاً الى نفوسهم، تعنتاً، واستكباراً، وهذا فضلاً عما بدا من منطق قادتهم، وأولي النفوذ فيهم، إن مبعثهم على اتخاذ مواقفهم المعادية المنكرة، المتعنتة، إنما هو مجرد الحرص على ما كانوا يتمتعون به من أسباب القوة، والمنعة، فضلاً عن المكانة الرفيعة بين العرب، والدول المجاورة التي كانت لا تعبأ إلا بالقوة الطاغية، وهذا منشأ ما نعى عليهم القرآن الكريم، وأجراه حكاية على لسان من

اتبعوهم استهواء وعماية - في مثل قوله عز وجل: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب، والعنهم لعناً كبيراً﴾(٨) أو تكالباً على «مراكز القوة الاقتصادية» التي استحوذوا عليها، نتيجة للمراباة، والاستغلال والتحكم؟ فأوجسوا خيفة من ذهاب ذلك عنهم إذا ما اعتنقوا هذا الحق الذي جاءهم، وقد استيقنته أنفسهم، وإن جحدوا به مكابرة واستعلاء، ولمنافع مادية رخيصة وعاجلة، وحرصاً منهم على نفوذ وثني مزر، وذلك هو شأن الباطل في مجابهة الحق، في كل عصر، وإن اختلفت الأسباب في مظاهرها، لكنها متحدة في معناها ومرماها، والعبرة بالمعاني لا باختلاف المظاهر.

إن الباطل، إذا كان بطبيعته، خلواً من عناصر برهانية، واقناعية، من منطق العقل تسنده، فإنه مناف أيضا وبالضرورة، لسنن الله تعالى في الوجود البشري، والحق - على مقتضى تلك السنن - يفتقر دوماً الى قوة بالغة العنف، تحميه، وتدرأ عنه عوادي الشر، والطغيان في الأرض.

من هنا كانت «الهجرة» لإقامة الإمرة، وبناء الدولة، ذات الأيد والقوة في المدينة المنورة، حماية «للحق» الذي آمنوا به، وهذا ما وقع فعلاً من جانب الرعيل الأول، رضوان الله عليهم، تلك سنة إلهية ماضية في الحياة والأحياء، لا تبديل لها.

وعلى هذا انهار الزعم بأن «الهجرة» إنما كانت فراراً من المحنة، أو هرباً من النكبة أو خشية من الموت، أو حرصاً على الحياة الذليلة، أقول: انهار ذلك الزعم الباطل، أمام هذه الحقائق النيرة!! وتفصيل ذلك:

إن الباطل - بحكم الله - زاهق أبداً، أمام وضاءة الحق، وإلا كانت الحياة البشرية فوضى؟ غير سائرة على سنن إلهية مستقرة، ولبطلت بالتالي سنة الابتلاء، والجزاء، وهذا باطل، فما يؤدي إليه باطل بالضرورة!!.

فثبت بما لا يدع مجالاً للشك، أن «الحق» بقوة براهينه، ودامغ حججه، وعناصر الإقناعية فيه، لن يضيع أبداً، ما دام أربابه مؤمنين به، متفانين في الدفاع عنه، مستميتين في سبيل استخلاصه، من عدو مغتصب، عات أثيم، يؤثرون عزة الموت على ذل الحياة، تلكم هي سنة الله الماضية في الخلق، وقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع شتى من آياته، في مثل ما تلونا آنفاً، من قوله سبحانه، وفي خصوص الهجرة، وشأن المهاجرين: ﴿الذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله﴾ حيث تجد الآية الكريمة تقرن «الايمان» بالله تعالى معتقداً، تقرنه «بالهجرة والجهاد في

سبيل الله معاً» حماية لذلك «المعتقد» وانتصاراً له، وتوفيراً للجو الطيب الذي تترعرع فيه تعاليمه، وتشريعاته العادلة، وتؤتي ثمارها.

على أن هذا «الاقتران» بين الهجرة والجهاد في سبيل الله، يومىء - على ما هو معلوم في علم الأصول - الى المعنى الإشاري العظيم، إن «الهجرة والجهاد» كليهما من لوازم ومقتضيات «الايمان بالحق» لقوله سبحانه إثر ذلك: ﴿والذين آووا ونصروا، أولئك هم المؤمنون حقاً﴾.

وأيضا، من الاشارات القرآنية الأصولية، أن وصف المهاجرين بالإيمان من قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وهاجروا﴾ ثم اتباع ذلك، بوصفهم «مجاهدين» إيماء أيضا بأن هذه «الهجرة» إنما كانت سبيلاً مرسوماً ومتعيناً الى «الجهاد» لا الى الترويح عن النفس، ولا الى طلب النجاة من الموت «ولا اطراحا لمطلب «عزة الحياة» إذ من الثابت في القرآن العظيم بداهة، أن «العزة» أمر قد استخلف الله المؤمنين فيها، لأن هذه «العزة» فرع من عزة الله تعالى، فقد استخلفهم فيها، كما استخلفهم في أرضه، سواء بسواء فغدا مطلب «العزة» مفروضاً على المؤمنين تحصيله، كفرض الصلاة، إذ لا يجتمع في دين الإسلام، «ايمان وذلة» لقوله سبحانه : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ .

هذا، وإنما كانت «الهجرة» سبيلاً الى الجهاد في سبيل الله، فلأن عزة المؤمن، التي منشؤها التفاني، والتضحية بالمال والنفس، محال أن تكون لغرض دنيوي رخيص، من الاستكبار في الأرض، والاستعلاء فيها، أو بغية إخضاع الشعوب لإمرة المسلمين، وغطرستهم، وقهر المستضعفين في الأرض، واستلاب ثرواتهم، ومقدراتهم، وتحطيم قوتهم، وتدمير أسلحتهم وإنما هو ابتغاء مرضاة الله، فإذا كان من مبادىء المتجبرين في الأرض: «الويل للمغلوب» فإن مبدأ الاسلام الخالد المستمد من اقتران «الجهاد» دوما بعبارة «في سبيل الله» مؤذن بأنه على النقيض من الأول، ينادي - قولا وفعلاً - بأن «الانتصار للمغلوب» مهما كان جنسه، ودينه، ولغته وعنصره، لقوله سبحانه: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ وهذا من معاني الرحمة التي أنزلت الشريعة من أجلها للعالمين.

إذن لا تنسجم نوازع الجبروت إلا بالإسلام، ولا تنهزم صروح الطغيان، إلا بالإسلام، حفاظاً على «حقوق الإنسان العام» أنى كان، فنتج عن ذلك، أن لا سلم عالمياً، ولا أمن دولياً - على التحقيق - إلا «بالعدل المطلق» الذي جاء به الإسلام!!

وعلى هذا كان «الجهاد» أثر الهجرة،

مبرأ من بواعث الطمع في «الجاه» على الصعيد العالمي، ولا الاستعلاء على البشر في الأرض، والتحكم فيهم، ظلماً وعلواً، ولا في بسط النفوذ السياسي على الدول الضعيفة في الميدان الدولي، بغية الإملاء عليها، بمطالب الدول الكبرى؟ ظلماً وعلواً، وبهذا يظهر لنا من استبطان الآيات الكريمة الواردة في شأن «الهجرة» أمران:

أولهما: أن «الهجرة» إنما كانت سبيلاً مرسوماً ومتعيناً الى «الجهاد المستميت» وبذل الأنفس والأموال، مرضاة لله تعالى، ولا يستقيم هذا مع الزعم الباطل من أنها إنما كانت فراراً من الموت، أو طلباً للحياة المستخذية الذليلة، أو لحاجة في صدور المهاجرين، خاصة بهم، كانت تجيش فيها، من الخور، أو الاستسلام، لأن هذا - كما هو واضح في الآيات الكريمة - لا يتسق بداهة مع استرخاص النفوس المقترن بالهجرة، مما يدل بعد إمعان النظر في نصوص الآيات الكريمة المتعلقة بها أن «الهجرة» إنما كانت «رسماً وتخطيطاً قرآنياً» بصريح النصوص، ومغياة بغاية عليا، هي «الجهاد الحق» - بعد إقامة الدولة، إعلاء لكلمة الله في الأرض وحماية لها بالقوة المنيعة.

ثانيهما: أن «الهجرة» إنما كانت سبيلاً الى «النصر» أيضا بدليل أن الله تعالى قد أمر المؤمنين أمراً حتماً، بنصرة الرسول ﷺ في هذه الهجرة وبعدها، وأوعد الكافرين، بأنه سبحانه سينصره عليهم، إن لم ينصروه، وهذا دليل بين على أن الهجرة إنما كانت سبيلاً متعيناً الى «النصر المؤزر» من قبل الله تعالى، ومن قبل المؤمنين أيضاً، وهذه هي «الغاية» التي غيا بها الله تعالى هجرة نبيه، إيجاداً للمناخ الصالح، لإقامة «بناء الدولة» في المدينة، لتحمي الحق، وتدافع عنه ببسالة، واستماتة في سبيل الله، تجد هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه، فقد نصره الله﴾.

وأيضاً، تجد هذا المعنى واضحاً، مشاراً إليه، غاية ومقصداً، لهجرة الرسول وصاحبه، بوجه خاص، في مرحلتها الاولى، في غار ثور، إذ يقول عز شأنه: ﴿.. إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه، لا تحزن، إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم﴾ (٩).

فالغاية - كما ترى - بينة: جهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض، وهذا المعنى - كما أشرنا - على النقيض مما زعم بعض المستشرقين، من الخوف، والخور والاستسلام. والقرآن الكريم، وقد وضع نصب أعين المهاجرين بخاصة، تغليب احتمال الاستشهاد على احتمال النصر، فيما يخوضون من معارك، حثاً لهم على

المضي في الاستبسال في الجهاد الى أبعد مدى، في بعض الوقائع وتحذيراً لهم من التهاون في أمر الجهاد أو من النكوص عنه، إذا ما نزلت بساحتهم المحن، ثم بث في نفوسهم روح التفاؤل، والأمل بنصر الله، وأنه آت، لا محالة، إن في الحال، أو المآل، لأنه حق كتبه الله تعالى على نفسه لقوله عز وجل: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[١٠] وقوله: ﴿إنا لننصر رسلنا، والذين آمنوا، في الحياة الدنيا﴾[١١].

هذا وترى القرآن الكريم، لا يني - تقوية لمعنوياتهم - ينفث في روعهم روح الثقة العظمى بهذا المستقبل الآتي - القريب أو البعيد - بما يتضمن من إحدى الحسنيين، لكل فرد من المؤمنين المجاهدين، بقوله عز وجل: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾[١٢] الشهادة أو النصر، ليلفت المؤمن الحق، الى ان «العلاقة» بين المؤمن وربه، أبدية، لا نهائية، ما دامت الحياة الدنيا، موصولة بالآخرة التي هي خير وأبقى، ومعنى هذا أن وحدة الحياة - دنيا وأخرى معاً - موصولة بوحدة الألوهية، ومن هنا كانت هذه «العلاقة» أبدية لا نهائية، لا تقطعها واقعة الموت المادية الظاهرة.

تجد هذا المعنى جلياً في شأن المهاجرين بوجه خاص، في مثل قوله عز وجل: ﴿..فالذين هاجروا، وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقتلوا، لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الثواب﴾[١٣].

والله ولي التوفيق

الهوامش:

(١) سورة الحج الآية ٣١ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٧٤ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .
(٤) سورة المنافقون الآية ٨ .
(٥) سورة النمل، الآية ١٤ .
(٦) سورة المائدة الآية ٦٧ .
(٧) سورة الزخرف الآية ٤٣ .
(٨) سورة الأحزاب الآية ٦٧ .
(٩) سورة التوبة الآية ٤٠ .
(١٠) سورة الروم الآية ٤٧ .
(١١) سورة غافر الآية ٥١ .
(١٢) سورة التوبة الآية ٥٢ .
(١٣) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .